Route Educational & Social Science Journal

Volume 6(3) ; February 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
10.11.2018	13.2.2019	15.2.2019

دور الشعر العبري الحديث في تعزيز الاستيطان الصهيوني في فلسطين

The role of modern Hebrew poetry in promoting Zionist settlement in Palestine

أ.د. فائزة عبد الأمير نايف الهديب

Prof. Faeza Abdulameer Nayyef Al - Hudeeb

جامعة بغداد–كلية اللغات–قسم اللغة العبرية

الملخص:

آداب الامم افرازات طبيعة لها، ومرآة للواقع المادي والفكري والروحي لها وتسجيل لحياتها وتطورها، والاحداث التأريخية التي مرت بها وواجهتها، والاداب هي الوسيلة لتصوير الحياة اليومية لاي مجتمع من المجتمعات بكل تفاصيلها ومساراتها.

والادب العبري عامة لا يختلف في طبيعته هذه عن الاداب الاخرى، لكنه يختلف في وصف نصوصه في خدمة الحركة الصهيونية وافكارها والعمل على تحقيق اهدافها التي وضعتها.

ولا شك انه كان امام الحركة الصهيونية الكثير لتقوم به من تغيير صورة اليهودي السيئة في ثقافات الامم المختلفة. فخلق اليهودي الجديد المؤمن بالفكر الصهيوني وقضيته ثم انتهاءاً بتنفيذ اغتصاب فلسطين.

وعرفت الصهيونية بدورها القيمة العالية لنقل العمل الادبي في ايصال الدعوة والتبشير بالمنطلقات النظرية للحركة الصهيونية، فلم تأل جهداً في الافادة من الادب العبري عامة والشعر العبري خاصة، حيث ادركت ان عملية الاحياء القومي تبدأ ببناء الفرد اليهودي اولاً وبعث اللغة العبرية ثانياً.

وقد قام الادب العبري بمختلف اشكاله التعبيرية في القصة والرواية والمقالة والشعر في رفد الفكر الصهيوني وبالتالي الهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها. ولهذا ركز البحث على نصوص شعرية مختارة قامت بهذا الدور المهم لخدمة الحركة الصهيونية عامة، وبالحث على الاستيطان وتشجيعه في فلسطين خاصة.

الكلمات المفتاحية: الشعر العبري، فلسطين، الاستيطان الصهيوني، المشروع الصهيوني، الانبعاث القومي، الهجرة اليهودية، الوعد الالهي.

Abstract:

The literature of the nations are secretions of nature, areflection of the physical, intellectual and spiritual reality ofthem, the recording of their lives and their development,the historical events that they have undergone and theirfaces, and the literature is the means of portraying theeveryday life of any society in all its details and paths.The Hebrew literature, in general, is not different in naturefrom the other literature, but it differs in the description ofits texts in the service of the Zionist movement and ideasand works to achieve the goals set by it.There is no doubt that the Zionist movement had a lot todo to change the image of the bad Jew in the cultures ofdifferent nations.Creating a new Jew who believes inZionist thought and his cause and then ends theimplementation of the rape of Palestine.The Zionist movement, in turn, knew the high value of thetransfer of literary work in the delivery of advocacy andpreaching the theoretical premises of the Zionistmovement, did not spare any effort to benefit from Hebrew literature in general and Hebrew poetry in particular,realizing that the process of national revival begins withthe construction of the Jewish individual first and thesecond language.The Hebrew literature in various forms expressive in thestory and the novel and the article and poetry in thesupport of Zionist thought and thus migration to Palestineand settlement.Therefore, the research focused onselected poetry texts which played an important role

inserving the Zionist movement in general and inencouraging and encouraging settlement in Palestine.

مدخل:

تتجلى اهمية البحث في كونه يناقش قصائد مختارة من الشعر العبري بمراحله المختلفة، كاشفا عن مدى تأثيره في تعزيز مبدأ الاستيطان والتمسك بالعمل الطليعي والحراسة للمحافظة على تحقيق الحلم الصهيوني الاستيطاني في أرض فلسطين. والاعتماد على نصوص من التوراة لإضفاء الصبغة الدينية على المشروع الصهيوني الاحلالي.

ومن خلال تحليل بعض القصائد، سنحاول الاجابة عن السؤال المركزي للبحث ومفاده: هل تمكّن الشعر العبري في ترسيخ القناعة بجدوى الاستيطان، وحث اليهود على الهجرة واستعمار الارض الفلسطينية، من خلال صياغة ادراك جمعي يمجد العنف والقمع ضد العرب؟

اعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي لنصوص بعض القصائد المختارة، واستنباط اهم الافكار التي عبرت عنها، وتتبع المشتركات بينها، لجهة تعزيز السياسة الاستيطانية الصهيونية، والتي اريد لها ان تؤسس لمجتمع جديد.

وتم تقسيم البحث الى ثلاثة محاور وخاتمة، حيث تناولت المقدمة الاعتبارات التي يستند عليها الشعر العبري في مقاربته حيال الاستيطان.

تناول المحور الاول النصوص التوراتية القائلة بعائدية الارض الفلسطينية لليهود، والتي منحت لهم بوعد الهي ابدي.

اما المحور الثاني فقد اختص بعرض بعض النصوص الشعرية، التي اكدت على اهمية الارض وضرورة استعمارها بقصد تقوية الانتماء الصهيوني لدى اليهود.

وعالج المحور الثالث اتجاهات الشعر العبري في العصر الحديث، ليقترن انشاء اسرائيل بترميم الذات اليهودية، ودفعها لتغيير اسلوب الحياة عبر معادلة الارض والمكان.

المقدمة

وكما هو معروف، فأن آداب الامم افرازات طبيعة لها، ومرآة للواقع المادي والفكري والروحي لها وتسجيل لحياتها وتطورها، والاحداث التاريخية التي مرت بها وواجهتها، والآداب هي الوسيلة لتصوير الحياة اليومية لأي مجتمع من المجتمعات بكل تفاصيلها ومساراتها.

والادب العبري عامة لا يختلف في طبيعته هذه عن الآداب الاخرى، لكنه يختلف في وضع نصوصه بخدمة الحركة الصهيونية وافكارها والعمل على تحقيق اهدافها التي وضعتها.

ولا شك انه كان امام الحركة الصهيونية الكثير لتقوم به من تغيير صورة اليهودي السيئة في ثقافات الامم المختلفة. فخلق اليهودي الجديد المؤمن بالفكر الصهيوني وقضيته والمؤهل بتنفيذ اغتصاب فلسطين.

لذا، عرفت الصهيونية بدورها الفاعل في توظيف العمل الادبي في ايصال الدعوة والتبشير بالمنطلقات النظرية للحركة الصهيونية، فلم تأل جهداً في الافادة من الادب العبري عامة والشعر العبري خاصة، حيث ادركت ان عملية الاحياء القومي تبدأ ببناء الفرد اليهودي اولاً وبعث اللغة العبرية ثانياً.

فقام الادب العبري بمختلف اشكاله التعبيرية في القصة والرواية والمقالة والشعر في رفد الاستيطان الصهيوني والترويج له، وبالتالي الهجرة إلى فلسطين والاستقرار فيها. ولهذا ركز البحث على نصوص شعرية مختارة قامت بهذا الدور المهم لخدمة الحركة الصهيونية عامة، وبالحث على الاستيطان وتشجيعه في فلسطين خاصة.

اولا: النصوص التوراتية في تمجيد الاستيطان

حفلت التوراة بالكثير من النصوص التي تدعم استيطان فلسطين وتدعو الى استعمار الارض التي اعطيت الى اليهود بوعد الهي، لتكون مسكناً مقدساً لهم، فالاختيار هنا لا يقع على الارض فحسب لكنه ينسحب على الشعب ليكون جزءاً من وجدانهم التاريخي ومن هويتهم الدينية. [1]

[1] زئي فير بلونسكي، من الفكر المعاصر بنو اسرائيل وارض اسرائيل، سلسلة كتب فلسطينية -11، (بيروت: مركز الابحاث، 1968) ص 4.

ولعل اول تلك النصوص التوراتية ما جاء في الاصحاح الثاني عشر من سفر التكوين، حيث طلب الرب من ابراهيم الارتحال من حاران الى كنعان (إذ قال الرب لابرام اذهب من ارضك ومن عشيرتك ومن بيت ابيك الى الارض التي اريك فأجعلك امة عظيمة واباركك واعظم اسمك وتكون بركة).[2]

ولهذا، وبحسب الرواية التوراتية غادر ابراهيم مع ساراي زوجته ولوط ابن اخته ارض حاران واتوا ارض كنعان وتجلى الرب لإبراهيم وقال: (لنسلك اعطي هذه الارض).[3]

وهذه المنحة الالهية لإبراهيم تتكرر بعد عودته من مصر واقامته في ارض كنعان وافتراقه عن لابان الذي سكن في بقعة الاردن، إذ ان الرب قال لإبراهيم بعد ان فارقه لوط : (ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي انت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا لان جميع الارض التي انت ترى لك اعطيها ولنسلك الى الابد واجعل نسلك كتراب الارض حتى اذا استطاع احد ان يعد تراب الارض فنسلك ايضا يعد قم امش في الارض طولها وعرضها لأني لك اعطيها).[4]

ويتكرر ظهور الرب لإبراهيم عدة مرات ليضيف تفاصيل اكثر فهو يقطع معه عهداً بمنحه الارض من النيل الى الفرات: (في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات).[5]

وفي سفر التثنية يتكرر هذا الوعد "كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم، من البرية والنبات، من النهر الكبير نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم، لا يقف إنسان في وجهكم، الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها كما كلمكم".[6]

وتأسيسا على ما تقدم، كانت اورشليم خياراً مقدسا لبني إسرائيل تكمّل الوعد الالهي، إذ يقطن بها الرب فهي ارضه وتكون خالصة لهم، نسوق هنا ما جاء في اصحاح زكريا/ 2 -12 والذي اعتبر اورشليم ارض الرب التي يكتمل فيها ايناع اليهودي، لتكون منحة ابدية، من خلال ربط الارض بذرية ابراهيم على مدى الامتداد التاريخي للمستقبل.

وبنفس المعنى، فأن تلك الارض ذات قدسية خاصة والرب سوف يرعاها بعينه: (ارض يعتني بها الرب الهك عينا الرب الهك عليها دائما من اول السنة الى اخرها).[7] ويحميها ويجعل ثمارها خير الثمار لتليق بالشعب الذي اختاره الرب،

[2] التكوين (12/ 1- 2).
[3] التكوين (12/7).
[4] التكوين (13/14-17).
[5] التكوين (13/15).
[6] التثنية (11: 23-25).
[7] التثنية (11-12).

فكما الرب اختار بني اسرائيل امة كهنة من بين كل امم الارض، فأن الرب كذلك اختار فلسطين من بين كل بقاع الارض. لتكون بمثابة المعادل الجغرافي المناسب بعد ذلك للتصور القائم على اساس ان بني اسرائيل وتاريخهم المقدس يشكل حجر الزاوية في تاريخ العالم .[8]

وقد جسدت الحركة الصهيونية في فلسطين العقيدة التوراتية، عبر ممارساتها العملية باستعمارها الاستيطاني، وفق مفهوم توراتي يقضي بعودة الشعب اليهودي إلى أرض الميعاد؛ فتم إقبال اليهود على الهجرة إلى أرض فلسطين، كمهاجرين إلى أرض إسرائيل، وعدّوا ذلك حقاً لهم.

ومن هنا؛ فأرض إسرائيل ليست عبارة عن بقعة جغرافية فحسب، إنها جزء من عقيدة، وهي منحة وهدية من الإله لشعبه. لتستند الأيديولوجية الصهيونية في فلسفتها الخاصة على أساس نفي الآخر واقتلاعه، لا التعايش معه أو القبول بوجوده، وعليه، فإن غايتها هي الإجلاء والإحلال، وتهجير الشعب الفلسطيني لتوطين هؤلاء المهاجرين مكانه.

إن أهمية الأرض المقدسة تبرز من حيث كونها البقعة الملائمة لتطبيق توجيهات التوراة وتشريعاتها، إذ لا معنى للشريعة ولا للوعود التي قطعها الإله بدون استقرار هذا الشعب في هذه الأرض "احرصوا أن تحفظوا جميع الوصايا التي أوصيكم بها اليوم لكي تَحْيَوا وتكثروا وتمتلكوا الأرض التي حلف الرب لآبائكم".[9]

ثانيا: الشعر العبري في العصر الوسيط وتعزيز مبدأ الاستيطان

يعتبر مؤرّخو الأدب العبري هذا العصر ذهبياً بالنسبة للشعر وغيره من الفنون الادبية العبرية، لتخرج اللغة العبرية وللمرة الأولى منذ آلاف السنين من المعابد لتصبح متعددة الاستعمال، وتنظم شعرا وادبا، وتتجاوز حدود الصلاة والعبادات، إذ ازدهر العديد من اليهود في الاندلس العربية التي كانوا يحسون أنهم ينتمون إليها، ووجدوا أنفسهم الآن في عالم مختلف تماما عن السابق .[10]

[8] عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الاهرام 1975، ص 65.

[9] التثنية (1/8).

[10] حسن السرات، الاندلس العربية،
http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2006/11/29/%d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%86%d8%af%d9%84%d8%b3-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d8%b1%d8%a8%d9%8a%d8%a9

في هذا العصر عاش اليهود بسلام في الاندلس، واختاروا طريق الاندماج في الثقافة العربية الإسلامية، ومع ذلك استمروا بالتغني بالأرض المقدسة، مع انها كانت مفتوحة امامهم شأنها شأن كل الاراضي الاسلامية الاخرى، إذ عدوا انفسهم اسرى وسبايا في دولة الاسلام، وهو شعور حاولوا الابقاء عليه بسبب التأثير التوراتي الشديد، واستمروا بالتثقيف بضرورة احتلال فلسطين والتسلط عليها خالصة لهم دون الامم الاخرى وطرد ساكنيها منها. وتأكيدا على ما تقدم، ظهرت كتابات تؤكد على عودة اليهود "لأرضهم"، فمثلا يقول يهوذا اللاوي في قصيدة بعنوان "صهيون "[11]

هيكل الرب ومقدسه، معبده

ظهر مجده، وتشتت شعبه

ومن ارض الميعاد، يلقون التحية

ويسجدون له كل رجل في مكانه

سبايا في مراكش، في الحبشة وفي مصر

هدفهم اورشليم

يتطلعون الى ابيهم في السماء

يقفون في خدمته ويتباركون

ضائع في عيلام، وسبي في بابل

ولد عام 1080 في طليطلة ومات في الشرق

صوب ارضه، يفغر فاه

بين اسنان ذئاب الغابة

يتمسك من حزنه بعقيدته

سبايا صهيون في اسبانيا

في الجزء المسلم مشتت، وفي الجزء المسيحي مبعثر

تجاه قبلة المجلس يرتجف ويرتعد

قلبه، كطفل مفطوم عن امه

[11] نازك عبد الفتاح، عروض الشعر العبري في العصرين القديم والوسيط،،القاهرة، ص 46.

كما اعتبر يهوذا هاليفي (1086–1145) ان مركزية أرض إسرائيل تربط بين الجغرافية والمركز الروحي ارتباطًا وثيقًا. فالأرض باقية على الحدود بين العوالم المادية والروحية، بما يسهم في تحقيق الكمال والنبوءة، والتي لن يُقدر لها ان تتحقق الا على هذه الأرض .[12]

وكان يهوذا هاليفي طبيبًا يهوديًا وشاعرًا وفيلسوفًا، ولد في طليطلة في 1085 وتوفي في 1141. وقد عكس الكثير من شعره، حبه لإسرائيل، واعتبر حب صهيون جزءا من الثقافة اليهودية، وليس مجرد طقوس يعبر عنها في الصلاة. وسافر إلى الأرض المقدسة ليستقر هناك تحقيقاً لحلمه.

وتصف قصيدته "قلبي في الشرق" توقه للعيش في الاراضي المقدسة، وهو بعيد عنها، الامر الذي جعل عيشه متكدراً وعباداته ناقصة، فهو لن يدخر جهداً في السفر الى هناك وترك كل ملذات العيش والجمال في اسبانيا، ليكون على مقربة من الهيكل "صهيون" ليكتمل توهجه الروحي .

"قلبي في الشرق":[13]

قلبي في الشرق، وأنا في أقاصي الغرب.

فكيف أتذوق زادي وكيف يطيب لي؟

وكيف أفي بنذوري في حين أن

صهيون في قبضة أدوم وأنا في قبضة العرب؟

يهون في نظري كل جمال إسبانيا مثلما

يعز على نفسى رؤية تراب قدس الأقداس مخربا

كما نظم قصيدة عن الأرض المقدسة بعنوان: "أشعار أرض إسرائيل" يقول فيها:

يا جميلة المشهد يا بهجة الكون يا مدينة الملك العظيم

لك تتطلع نفسي من مكاني من الغرب "الأندلس"

ويفيض حناني عندما أتذكر تاريخ مجدك

الذى انقضى وقدسك الذى خرب

ومن يحملني فوق أجنحة النسور حتى

تختلط دموعي بثراها فترويها

[12] https://www.myjewishlearning.com/article/the-land-of-israel-in-medieval-jewish-thought
[13] http://www.zionism-israel.com/yehudalevi.htm

ألا أتلمس أحجارك وأقبلها؟

اما يهودا الحريزي، وهو من أهل طليطلة وكان حاخاما، مترجما وشاعرا في العصور الوسطى، فقد اعلن عن حنينه الى صهيون، التي شغف بها حبا، والعيش فيها يشعره بالسكينة لتعود الى مجدها الذي تخرب.[14] فأدخل فن المقامة الى اللغة العبرية، وانشأ على نمط مقامات الحريري، خمسين مقامة سماها "سفر تحكموني" اي كتاب الحكمة وضمنها الكثير من نصوص التوراة .[15]

وهو يقول في مقامة صهيون:[16]

صهيون وكم من الدول ازداد بهاؤها

ولكن بهائها لم تره عين بشر

المدينة التي كانت مقرا للسكينة

وكشفت عن مجدها لعيون بنى الإنسان

وكيف هبطت رباها أسفل سافلين

بعد أن كانت في أعلى القمم فخورة

نفى شعبها من القصور الفخمة

ولم تنفذ وصايا الرب

تتعشم أن تتطهر بمياه المنفى

ولكنها لم تتطهر بعد ولم تغتسل

لقد انقضى عليها ألف سنة ومائة

وثمانية وأربعون عندما استيقظت من سباتها

وطردت من قلب صهيون

وحتى الآن تريد صهيون سبيها

وهى تبكى عندما ترى جموع الغرباء

يصعدون إلى بيت الرب وهى لم تبرأ بعد

[14] https://www.poetrysoup.com/famous/poets/jewish_poets.aspx

[15] عبد الرازق أحمد قنديل: المقامة العبرية بين التأثر والتأثير، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، ، سلسلة فضل الإسلام علي اليهود واليهودية، العدد (١٢) ، ٢٠٠٥ م، ص ٢٢-٢١.

[16] http://www.myportail.com/actualites-news-web-2-0.php?id=2047

ولم تعجز يد الرب عن إنقاذها

وجمع شمل أفراد شعبها ليعيدهم للبيت

وسوف يعيدها الرب فوق عرشها

وتعود إلى مجدها بعد خرابها

وهكذا عمل ادب العهد القديم والوسيط على زرع عقيدة امتلاك الارض "فلسطين" واحقية اليهود بها دون ساكنيها، والاعتماد على الدين والتراث في الربط بين الظاهرة اليهودية التي ولدت تاريخيا في مكان ونشأت في مكان آخر.

ثالثا: الشعر العبري الحديث

وتأسيساً على الخلفية التي اوجدتها نصوص العهد القديم النثرية والشعرية المتركزة على الوعود الالهية في استعمار الارض، إذ يأتي الادب العبري عامة، والشعر العبري الحديث خاصة ليكرس هذه المفاهيم من خلال ثلاثة محاور :[17]

- اعتبار الارض الموعودة حقاً يهودياً لا جدال فيه.
- التذكير بالاضطهاد الذي عاشه اليهود في اوروبا، وتحفيزهم على الهجرة الى فلسطين ارض الاجداد.
- تعزيز روح الانتقام لدى اليهود، رداً على ما حل بهم، واعتباره امراً مشروعاً.

ولعل بالإمكان القول ان بدايات الشعر العبري الحديث شأنها شأن الفنون الادبية العبرية الاخرى ظهرت في الجيتو، حيث يتركز الشعر في تلك الفترة على الاضطهاد الموجه ضد اليهود واستذكار الارث اليهودي المتراكم بهذا الصدد، إذ يحاول الشعر ايجاد الامل القومي وبعثه والمتمثل في العودة الى صهيون.

ومع تدفق موجات المهاجرين اليهود الى الارض الفلسطينية، تصاعدت الدعوات الى التخلي عن ثقافة الجيتو الانعزالية، لتحل محلها الثقافة العبرية الداعية الى العودة الى صهيون، لا البقاء في معزل حيث يعيش اليهود هنا وهناك. ورأى الأدب العبري الصهيوني – بشكلٍ عام – أن الاندماج مع الشعوب التي يعيش اليهود بين ظهرانيها هو السبب وراء ما أطلقوا عليه التخريب النفسي والمادي الذي أصاب اليهود في أوروبا الشرقية، ورفض الأدباء الشخصية اليهودية "الجيتوية" التي كانت تُمثِّل في نظرهم رمزاً للخنوع والاستسلام .[18]

وتعزيزا لما تقدم اكد شاؤول تشرنخوفسكي في قصيدة (الاريكة) والتي كتبها في اوديسا 1897، وقت انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول، على ان اليهود سيأخذون الارض من العرب ويقيمون في فلسطين، وطنا قوميا لهم، يقول فيها :[19]

[17] للمزيد من المعلومات انظر: فائزة عبد الامير، الاتجاهات الصهيونية في الادب العبري الحديث (عمان: دار مجدلاوي للنشر، 2006).

[18] رشاد عبد الله الشامي، شاعر القومية اليهوديّة حاييم نحمان بياليك: أمير الشعراء العبريين في العصر الحديث (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2006)، ص 7- 8.

يهودي انت يا بني، في هذا سعادتك

وايضا نكبتك

فرع سلالة شعب عريق

تفوق عظمتك الشعوب

ما زلت صبيا... سوف تكبر وتعرف

الامجاد التي صنعها شعبك

سوف تكون رجلا... يد القسوة

ستحل بك...ستصعقك يا صغيري

ستتيه في الارض

لكن موطنك واحد... ومعجزتك صهيون

وان هويت للقاع ... وان تأخر يوم الخلاص

لا تيأس يا اسير الامل

ستشرق شمسنا

هنالك يعسكر العرب

على الارض وفي الشارون

ستكون لنا هذه الارض.

وتؤكد هذه القصيدة على حق امتلاك ارض الاخرين، استنادا على الوعد الالهي، حيث ستعمر فلسطين بجهود اليهود وقدراتهم التي تفوق قدرات البشر، لما يملكون من تفوق وعلوية. ودعا شاؤول تشرنخوفسكي قادة الحركة الصهيونية التوجه الى فلسطين واحتلالها، باعتبارهم من يحقق ذلك الحلم الذي عاشه اليهود لأجيال فيقول :[20]

نحو صهيون وجهوا راياتكم يا ابطال يهودا

فألهنا يا اخوتي حصن وكل.

ويطرح تشرنخوفسكي مشروع الاستيطان الصهيوني في قصيدة اخرى عنوانها "اهزوجة لي" مفصلاً حدود الحلم الابدي الممزوج بوعد الهي:[21]

[19] نازك عبد الفتاح، اضواء على الادب العبري الحديث، مكتبة القاهرة، ص 88.

[20] Meyer Maxmen, A History of Jewish, New yourk,1960, Vol 4, p.275

هللوا ساكني البحر الحصين، بنت فلسطين في مرارة

فالأردن لك، ولبنان لك، والسهل والجبل

من نهر الفرات وحتى حماة والصحراء العربية

الحدود التي رسمتها يد الله، تراها عين السحاب

واحتلوا ارضا بقوة الذراع ولتمسكوها

ولتبنوها بناءا ابديا، لكم وللأجيال القادمة

وتأتي هذه القصيدة لتعبر عن توجهات الفكر الصهيوني نحو فلسطين، هجرة اليها واستيطانا، باعتبارها الحل الامثل للمشكلة اليهودية الأزلية، في محاولة من الشاعر على بعث الهمم وخلق اليهودي الجديد القادر على تنفيذ المهمة الاستعمارية للحركة الصهيونية.

ولأجل دعم فكرة الاستيطان اليهودي والانبعاث القومي، تبنى الادب العبري الحديث، الظاهرة الاحلالية الاستيطانية، باعتبارها رأس حربة المشروع الصهيوني القائم على معادلة الارض والسكان، وكما عبر عنها بياليك في مخاطبة العصفور، كرمز يخاطب من خلاله الارض المقدسة، ويطلب اخباره عن امجادها ويبث اشواقه اليها :[22]

حمداً على سلامتك، يا عصفورتي اللطيفة

في عودتك من البلاد الحارة إلى شباكي–

إلى صوتك الذي طالما تاقت روحي إليه

في الشتاء، عندما هجرتِ حصني

غني، احكي، يا عصفورتي الغالية

عن البلاد البعيدة الرائعة،

هل سترنمين، هناك أيضاً في الأرض الحارة، الجميلة

بالأخبار السيئة والمعاناة؟

هل حملتِ لي سلاماً من إخوتي بصهيون،

من إخوتي البعيدين والقريبين؟

السعداء! هل يعرفون

[21] د. فائزة عبد الامير، القصص التوراتية في الشعر العبري الحديث (عمان: دار مجدلاوي للنشر، 2007)، ص 104.

[22] هكذا تحدث كوهين: حاييم نحمان بياليك، http://hkzathdthcohen.blogspot.com/2010/12/blog-post_17.html

أني أعاني، أعاني الآلام؟

هل يعرفون كم هم كثيرون أعدائي،

وما أكثر من يقومون ضدي، ما أكثرهم؟

غني، يا عصفورتي، عن عجائب وطن

الربيع به يثمر العالم .

هل حملت لي سلاماً من ثمار الوطن،

من الوهاد، من الوديان، من رؤوس الجبال؟

هل أشفق الرب على صهيون، رحمها،

أم أنها لا تزال متروكة للقبور؟

ووادي الشارون وتل اللبونا –

هل أعطيا مرّهما ونارديهما؟

هل أيقظ العائد في الغابات

جبل لبنان النائم النعسان من نومه؟

هل نزل الندى على جبل حرمون كالجواهر،

أم سال وسقط كالدموع؟

وما أخبار الأردن ومياهه النقية؟

وأخبار كل الجبال والتلال؟

هل انزاح من عليها السحاب الثقيل،

الذي يغطيها بالظلام والعتمة؟

غني يا عصفورتي، عن بلاد وجد بها

أجدادي الحياة، والموت !

ويبدو تأثير شعر بياليك على الاباء الاوائل للحركة الصهيونية كبير جدا، ولاشك انه ساهم في دعم خطط الاستيطان الصهيونية، فقد كتب احد الرواد في مذكراته عام 1907 ان كتابين وضعاني في وضعي الحالي، البيان

الشيوعي وكتاب صغير لحاييم نحمان بياليك، وسوف لن انسى ذلك اليوم الذي قرأت فيه قصيدة "موتى صحراء الاخيرين" :[23]

قوموا ايها التائهون في الصحراء، اخرجوا من التيه

فالطريق مازال طويلا، والمعركة مازالت مريرة!

كفاكم تجوالا وطوافا في الصحراء

وامامكم ممتدة طريق عظيمة واسعة...

قوموا اذن ايها التائهون اتركوا الصحراء!

ولكن لا يعلو صوتكم وسيروا بقوة وصمت...

ليسمع الرجل بقلبه صدى خطواته...!

اذهب فأنت اليوم عابر الى ارض جديدة...

وعلى قمة (نبو) مقابل الشمس الطالعة

يقف يهوشع بن نون يصرخ بأعلى صوته...

يا اسرائيل! قم وخذ الميراث.[24]

ويتجلى الاتجاه الصهيوني، في دعوة بياليك الى احتلال الارض الموعودة المقدسة، فيخاطب شعبه التائه في صحراء الامم، ليوقد فيهم جذوة الحماس والعمل، وصولا لتحقيق حلم العودة الى صهيون، واستيطانها وبذل الجهود في استعمارها لتصلح للحياة والعيش. ويستلهم في قصيدته قول يهوشع بن نون، إذ اطل على قومه من قمة جبل نبو وهو يصيح بصوت عال كالسهم يتقد شررا " قوموا، بني اسرائيل وخذوا ميراثكم" ومكررا قول يهوشع بدعوة يهود الشتات الى الهجرة باتجاه فلسطين لاستيطانها، فهي ارثهم التاريخي، ويختم القصيدة بقوله" يا اسرائيل! قم وخذ الميراث اما يتسحاق لمدان فقد تحدث عن دعم العمل والحراسة العبرية في قصيدة "ماسادا" داعيا الى الهجرة الى ارض فلسطين والتمسك بالعمل للحفاظ على تحقيق الحلم الصهيوني الاستيطاني، إذ تعد أرض فلسطين احدى المحاور الأساسية والمهمة في أفكار لمدان الصهيونية التي تناولها في أشعاره فنجده يقول:[25]

قيل لي:

[23] Amos Elon, The Israelis, Founders and Sons, U.K, 1983, p.79

[24] فائزة عبد الامير نايف الهديب، الاتجاهات الصهيونية في الادب العبري الحديث..دراسة وتحليل (عمان: دار مجدلاوي، 2006)، ص222-225.

[25] نفس المصدر.

ترفرف هناك راية تمرد أخيرة

تطالب السموات والأرض، الرب والإنسان:

"بالجزاء والتعويض"!

وعلى الألواح الحجرية توجد أظفار عنيدة

تنحت بشرى المواساة،

وفي مقابل مصير أجيال معادي

فهناك يزأر شخص:

يا أيها السيد!

أنا أم أنت!

فالكلمة الأخيرة هنا للمعركة.

يطالعنا الشاعر في الأبيات السابقة عن شاب يهودي يحكي ما قيل له عن الماسادا رمز أرض اسرئيل، من أن هناك راية تمرد أخيرة والتي ترمز للعمل العبري في فلسطين، ترفرف في السماء عالية خفَّاقة تطالب السموات والأرض، والإله والإنسان على حد سواء بتقديم التعويض والجزاء المناسب لليهود بالسماح لهم بالعمل في أرضهم .

وفي نظره فهؤلاء اليهود المهاجرون الطليعيون ينحتون على الألواح الحجرية التي ترمز هنا إلى الصخور في أرض فلسطين، بأظفارهم العنيدة الصلدة، حيث نجد اليهودي الطليعي المهاجر العامل يزأر كما الأسد في وجه العرب والبريطانيين على حد سواء، قائلا: أيها السادة البقاء في هذه الأرض سيكون حليف من؟ هل أنا اليهودي الطليعي المهاجر أم أنتم أيها العرب والبريطانيين، وان احترتم في ذلك اتركوا الرد على هذا السؤال للمعركة، فأنا سأدافع عن مشروعي الاستيطاني بكل الطرق لكي أحميه منكم، ولن يتأتى ذلك إلا بتدريب الشباب على حراسة حلمهم ومشروعهم. ويواصل الشاعر كلامه قائلا:

قيل لي:

فوق رؤوس المحاربين

هبطت سكينة تقطر غفرانا

ومن خلف ستار الغيب تبدو عين فجر واسعة تشاهد

وترعى الماسادا بالعناية.

يواصل الشاعر حديثه في الأبيات السابقة حديثه على لسان الشاب اليهودي الطليعي المهاجر، فيقول إن هؤلاء المقاتلين اليهود الذين يحرسون المستوطنات تظلهم الروح القدس بالسكينة التي تقطِّر غفرانا لهم، تحميهم وتقف في صفهم ضد من يريدون أن يحيقوا بهم السوء والخطر.

ولما كان الاستيطان الصهيوني يهدف للإعداد لإنشاء الدولة، واحكام السيطرة الصهيونية على فلسطين، فان بعض الشعراء اليهود ربطوا تحقيق هذا الهدف بالدعوة الى القتل واستئصال الآخر، فيقول اسحق شاليف:[26]

ان امي قالت لي ساعة الاحتضار

لو لم يسرق الرعاة العرب خيمتنا واغنامنا

ولم يطردوننا من سيناء

لكننا الآن احسن حالا

وماتت... العرب يقولون ان الجنة لا يدخلها عاصي الوالدين

وانا اقول لن ادخل الجنة ما لم احقق حلم امي.

ويدعو شاليف الى قتل العرب والتخلص منهم وسلب ارضهم، وهو واجب حتمي على اليهودي، لتكون اسرائيل خالصة لليهود، ويقول بهذا الصدد:" ان مهمة شعره والادب عامة هي التبشير بكلية الارض ارض فلسطين ووحدتها.[27]

وهنا يقول:[28]

توصلنا الى نتيجة

اننا يجب ان نقتل

كل الذين يبحثون لهم عن وطن

يجب ان نقتل

حتى يكون لنا وطن

من النهر الى النهر.

[26] د. فائزة عبد الامير نايف الهديب، الاتجاهات الصهيونية في الادب العبري الحديث، مصدر سبق ذكره، ص140.

[27] د. فائزة عبد الامير الهديب، الفكر الصهيوني والادبيات العبرية (عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2017)، ص145.

[28] خليل السواحيلي، حرب الثمانين يوما في الادب الاسرائيلي (عمان :دار الكرمل، 1985)، ص 18.

اما أشعار "امير جلبواع" فأنها تجمع بين الفكر الصهيوني وبين حلم إقامة الدولة الصهيونية على الأراضي الفلسطينية، الذي طالما داعب اليهود المشتتين في بقاع الأرض .

ويقول في قصيدة "أحياناً ترفع فأساً ":[29]

نحن نريد أن تسير أن تأتي أن تصل

ونحن نريد إذا دعتنا الحاجة أن نفجر برميل "البارود "

نحن نريد أن نغني أن نبني

ونرى بأعيننا كيف تقام البيوت والحدائق والآبار..

وتشجع القصيدة على الاستيطان بشتى الطرق، وليكون الإرهاب الصهيوني وسيلة لتحقيق الغايات ان تطلب الامر ذلك، فتفجير برميل البارود، مؤشرا على وجوب استخدام العنف في حال واجهتهم عقبة تحول دون تحقيق الأهداف بإقامة الدولة وإنشاء المستوطنات على الأراضي الفلسطينية، وإبادة العرب الموجودين على أراضيهم العربية.

اما أبراهام شلونسكي (1900-1973) الذي ولد في أوكرانيا لعائلة حسيدية، هاجر إلى إسرائيل في عام 1922 وعمل في الزراعة، ولاحقاً كصحفي ومحرر ومترجم. وتشمل ترجماته العديدة إلى العبرية هاملت والملك لير، بالإضافة إلى عدد من الكلاسيكيات الروسية. ويعد من بين أهم الشعراء اليهود المعاصرين، كان له تأثير كبير على الكثير من الكتاب والادباء الشباب.[30]

واختلف أسلوب شلونسكي الشعري بشكل كبير عن ما كتبه سابقاً باللغة العبرية، من خلال فهم العلاقة الجدلية بين الابتكار والتقاليد، يعكس عمله المبكر التحول المأمول من القديم إلى الجديد، ليجمع شعره بين التعبيرات العبرية والدينية الحديثة، ويتحدث عن حالة الرواد العاملين في فلسطين، واصفا الأرض مثل شال الصلاة ويقول في قصيدة "كدح": [31]

ألبسيني يا أمي التقية، معطفا من ألوان رائعة

قادني مع الفجر إِلَى عملي

الأرض ملفوفة في الضوء كما لو كانت شالًا للصلاة.

منازل تقف كما لو كانت صناديق تيفيلين.

---

[29] احمد الشوكي، إسرائيل توظف الشعر والأدب في خدمة وتشجيع الاستيطان، جريدة النهار، http://www.annaharkw.com/annahar/ArticlePrint.aspx?id=62489

[30] http://www.ithl.org.il/page_13838

[31] Avraham Shlonsky ,http://www.soulandgone.com/2015/06/09/avraham-shlonsky-amal/

تتعطل الطرق السريعة المعبدة يدويًا مثل الأشرطة.

مدينة لامعة ترفع صلاة الصّباح إلى صانعها

وبين الصانعين:

ابراهام ابنك

ابن الشاعر رصف ارض إسرائيل.

في الشفق من المساء

يأتي الأب من أعماله

مثل صلاة يهمس بحرارة:

ابراهام، أعز اطفالي:

اللحم والعظام والاعصاب.

الخاتمة والتوصيات:

وختاما فان الادب العبري الحديث اسهم في تعزيز المشروع الاستيطاني الصهيوني، من خلال حث اليهود على الهجرة الى فلسطين، والتخلص من اعباء العيش في مجتمعات رافضة لوجودهم بين ظهرانيها، وبذلك كان للشعر دور في جمع اليهود في فلسطين وترغيبهم على العمل اليدوي المساند للمشاريع الاستيطانية.

ولعل الدارس للشعر العبري الحديث، يلاحظ ذلك التجانس بين الاهداف الصهيونية بخلفياتها التوراتية، وبين الاهداف الشعرية الداعية الى مجتمع عنصري يستند على اساطير دينية وتاريخية زائفة.

المصـادر العربية:

1- العهد القديم.

2- احمد الشوكي، إسرائيل توظف الشعر والأدب في خدمة وتشجيع الاستيطان، جريدة النهار، http://www.annaharkw.com/annahar/ArticlePrint.aspx?id=62489

3- حسن السرات، الاندلس العربية، http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2006/11/29/%d8%a7%d

9%84%d8%a3%d9%86%d8%af%d9%84%d8%b3-
%d8%a7%d9%84%d8%b9%d8%b1%d8%a8%d9%8a%d8%a9

4- خليل السواحيلي، حرب الثمانين يوما في الادب الاسرائيلي (عمان: دار الكرمل، 1985.(

5- رشاد عبد الله الشامي، شاعر القومية اليهوديّة حاييم نحمان بياليك: أمير الشعراء العبريين في العصر الحديث (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2006).

6- زفي فير بلونسكي، من الفكر المعاصر بنو اسرائيل وارض اسرائيل، سلسلة كتب فلسطينية -11، (بيروت: مركز الابحاث، 1968).

7- عبد الرازق أحمد قنديل: المقامة العبرية بين التأثر والتأثير، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، سلسلة فضل الإسلام علي اليهود واليهودية، العدد (١٢) ، ٢٠٠٥.

8- عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الاهرام 1975.

9- فائزة عبد الامير، الاتجاهات الصهيونية في الادب العبري الحديث (عمان: دار مجدلاوي للنشر، 2006).

10- ـــــ، الفكر الصهيوني والادبيات العبرية (عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2017).

11- ـــ، القصص التوراتية في الشعر العبري الحديث (عمان: دار مجدلاوي للنشر، 2007).

12- هكذا تحدث كوهين: حاييم نحمان بياليك،
http://hkzathdthcohen.blogspot.com/2010/12/blog-post_17.html

13- نازك عبد الفتاح، اضواء على الادب العبري الحديث، مكتبة القاهرة

14- ـــ ، عروض الشعر العبري في العصرين القديم والوسيط، القاهرة .

المصادر باللغة الانكليزية:

1- Amos Elon, The Israelis, Founders and Sons, U.K, 1983

2- https://www.myjewishlearning.com/article/the-land-of-israel-in-medieval-jewish-thought/

3- Yehuda Halevi, My heart is in the East, http://www.zionism-israel.com/yehudalevi.htm

4- https://www.poetrysoup.com/famous/poets/jewish_poets.aspx

5- Meyer Maxmen, A History of Jewish, New yourk,1960, Vol 4, p.275

6- http://www.ithl.org.il/page_13838

http://www.soulandgone.com/2015/06/09/ -7